مجلة دراسات موصلية

مجلة فصلية علمية محكمة، تعنى ببحوث الموصل الاكاديمية في العلوم الاجتماعية والانسانية

ISSN. 1815-8854

تاريخ استلام البحث: ٢٠/٤/٢٠٢٦ تاريخ قبول النشر: ٢٠/ ٥/٢٠٢٦

التحولات في منظومة الفكر الاجتماعي وانعكاساتها على بنية المجتمع الموصلي – دراسة تحليلية اجتماعية

Transformations in the social thought system and their impact on the structure of Mosul society - a socio-analytical study

أ.م.د شلال حميد سليمان

Asst. Prof. Dr. Shalal Hamid Suleiman

جامعة الموصل/كلية الآداب

University of Mosul/ College of Arts/

EMIL: Shalal.h.s@uomosul.edu.iq

https://orcid.org/0000-0003-0189-7414

ISSN. 1815-8854

الملخص

سعينا من خلال هذا البحث الى الكشف عن طبيعة العلاقة بين التحولات في منظومة الفكر الاجتماعي وانعكاسها على البني المجتمعية للمجتمع الموصلي. وتم استخدام المنهج الوصفي التحليلي .وما نخلص اليه من هذا البحث ان هناك علاقة ارتباطية بين التحولات في منظومة الفكر والبنى المجتمعية، وهذه العلاقة ليست خطية بل جدلية تفاعلية متداخلة بشكل معقد.

فقد اسفرت التحولات الفكرية الحادة الناجمة عن الاحتلال الامريكي للبلد، وتغيير النظام السياسي وحل مؤسسات الدولة وما نشأ عنه من تدهور امني وتدني المستوى المعيشي لا اغلب افراد المجتمع الموصلي .

وقد ادى ذلك الى اضطرب التوازن النفسي والاجتماعي للفرد، وازدحمت الذاكرة الاجتماعية بالأحداث المؤلمة وتشظي الوعي الجمعي وتراجعت قيم التضامن والتماسك بين مكونات المجتمع الموصلي ولصالح الهويات الفرعية على حساب الهوية الوطنية. كما تغيرت بعض ملامح الشخصية الموصلية فاضمحلت قيم العمل الجاد والمثابرة وبرزت قيم الكسب السريع لتحقيق الامان الفوري في ظل حالة عدم الاستقرار النفسي والاجتماعي.

وتراجع دور الطبقة الوسطى في المجتمع وضعف الاداء المؤسسي وشاع عدم الرضا الوظيفي ، ونمى تفكير نقدي مشوش لدى الشباب الموصلي وظهرت بوادر التطرف باتجاهات شتى .مما خلق واقعا مرتبكا، نتيجة عدم التوازن في عملية التحول في منظومة الفكر والبنى المجتمعية في المجتمع الموصلي.

الكلمات المفتاحية: التحولات، منظومة الفكر الاجتماعي، انعكاس، البنى المجتمعية، المجتمع الموصلي.

ISSN. 1815-8854

Abstract:

Through this research, we sought to uncover the nature of the relationship between transformations in the system of social thought and their reflections on the social structures of Mosul society. The descriptive analytical method was used. The conclusion drawn from this research is that there is a correlational relationship between transformations in the system of thought and social structures—a relationship that is not linear but rather dialectical, interactive, and intricately intertwined.

The acute intellectual transformations resulting from the American occupation of the country, the change of the political system, the dissolution of state institutions, and the subsequent security deterioration and declining living standards for most members of Mosul society have disturbed the psychological and social equilibrium of the individual. The social memory has become crowded with painful events, the collective consciousness has fragmented, and the values of solidarity and cohesion among the components of Mosul society have regressed in favor of sub-identities at the expense of national identity. Some features of the Mosuli personality have changed: the values of hard work and perseverance have diminished, while values of quick gain have emerged as a means to achieve immediate security in the context of psychological and social instability.

The role of the middle class in society has declined, institutional performance has weakened, job dissatisfaction has become widespread, a confused critical thinking has developed among Mosuli youth, and signs of extremism in various directions have appeared. This has created a disoriented reality as a result of the imbalance in the process of transformation within the system of thought and social structures in Mosul society.

Keywords: Transformations, System of Social Thought, Reflection, Social Structures, Mosul Society

ISSN. 1815-8854

المقدمة:

شهد المجتمع العراقي في العقود الاخيرة تحولات جذرية ومتعرجات فكرية وسياسية حادة انعكست اثارها على بنية المجتمع، واسهمت في اختفاء سمة الاستقرار في المجتمع، والذي اخذ يهدد عملية التوافق والتجانس الاجتماعي بين مكوناته وشكل بؤر للتوتر تغذي الصراعات وتضعف النسيج الاجتماعي.

شكل الاحتلال الامريكي عام ٢٠٠٣ وما سبقه من حروب متكررة والازمات السياسية والاقتصادية المتلاحقة آليات متداخلة افرزت تحولات جذرية في بنية المجتمع بصورة عامة والمجتمع الموصلي مدار البحث بصورة خاصة. واخذ الواقع الاجتماعي يؤشر على عمق الازمة المجتمعية والتي افرزت ولاءات فرعية في مجتمع تعدي قائم على اساس التنوع العرقي والديني وقبلي وهذا الانقسام القى بضلاله على طبيعة اداء البناء الاجتماعي ومؤسساته لوظائفها الاساسية.

فالبحث في التحولات التي طرأت على منظومة الفكر وتداعياتها، يعني الكشف عن الديناميات الاكثر خفاءً في عملية التغير الاجتماعي لأنها تعمل كخلفية غير مرئية تشكل تصورات الافراد وتنميط سلوكهم، فالأفكار والمبادئ الاخلاقية المتجذرة في الوعي الجمعي تساهم في التطبيع والضبط الذاتي لأفعال الافراد واختياراتهم اليومية. ويكون تأثيرها عميق وطويل الامد فهي القوة الصامتة والسلطة غير المعلنة مما يجعلها محركاً جوهرياً لعملية التغيير او المقاومة وغالباً ما يكون تأثيرها اكبر من العوامل السياسية والاقتصادية الظاهرة.

الاشكالية:

مرت منظومة الفكر الاجتماعي في المجتمع العراقي بصورة عامة والمجتمع الموصلي بصورة خاصة بتحولات حادة ومنعطفات حرجة والانتقال من محافظة إلى الرفض وصولاً إلى مرحلة البحث عن الهوية بعد صدمة الاحتلال الامريكي. ولم تكن هذه التحولات منعزلة عن طبيعة الاحداث في واقع الحياة اليومية بل انعكاس مباشر للتغيير السياسي والاضطراب الامني.

وتتمحور مشكلة البحث حول الاجابة على التساؤل الرئيس : ما اهم التحولات التي حدث في منظومة الفكر الاجتماعي وما انعكاساتها على بنية المجتمع الموصلي ،وينبثق من هذا التساؤل تساؤلات فرعية وهي كما يلي :

ISSN. 1815-8854

١. ماهي المكونات التي تشكل البينة الاجتماعية للمجتمع الموصلي.
٢. ما ابرز التحولات التي شهدتها منظومة الفكر الاجتماعي
٣. ما انعكاسات هذه التحولات على العلاقات والبنية الاجتماعية للمجتمع الموصلي .

هدف البحث:

يهدف البحث الاجابة التساؤل الرئيس الآتي:

- ماهي اهم التحولات في منظومة الفكر الاجتماعي وكيف انعكست على بنية المجتمع الموصلي.

أهمية البحث:

تكمن اهمية البحث في كونها تركز على الكشف عن الديناميات الاكثر خفاء في حركة الحياة اليومية والنفاذ إلى جذور عملية التغير التي طرأت على البنى الاجتماعية والتي تكتنز المعاني والغايات وتعطي التحولات دلالتها ومعناه ودورها وفاعليتها في تشكل انساق الحياة الاجتماعية، واقتفاء اثر التحولات التي حدثت في منظومة الفكر يقودنا إلى تحديد الاهداف الغريبة والبعيدة لسلوك افراد المجتمع، لتكشف لنا عن شبكة معقدة من العلائق المتداخلة متعددة المصادر والامتدادات.

منهجية البحث:

تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي في تحديد طبيعة التحولات في منظومة الفكر ومستوى انعكاسها على البنية المجتمعية الموصلي.

المفاهيم الرئيسة في البحث:

١. التحولات: مفردها تحول (convert) لغويا: حول الشيء، تحول من حال إلى حال (library ,mans ,edu)او الانتقال من موضع إلى موضع او انتقل في الشكل او في البناء من حال إلى حال آخر (العلالي ،١٩٩١، ص١٦٢)

والتحول اصطلاحاً: هو احلال شيء محل شيء آخر، وهو تغير يحلق بالأشياء او الاشخاص. وينقسم إلى قسمين تحول في الجوهر (حدوث صورة جديدة جوهرياً تعقب الصورة القديمة) والتحول في الاعراض او في المظهر (وهبه،٢٠٠٧،ص١٥١)

ISSN. 1815-8854

والتحولات هي التغيرات الجذرية والشاملة التي تحدث في بنية المجتمع وغالباً ما تكون اسبابها مفاجئة كالحروب والثورات والتي توصف بأنها نقطة تحول او منعطف يؤدي تغير حاد في حياة افراد المجتمع وتمس البنية العميقة والقيم الاساسية والهوية الجماعية والعلاقة مع السلطة . (Robert,1990,p38) فالتحول هنا يعد نقلة نوعية وفاصل حيوي بين حالتين يترتب عليها انعكاسات وتداعيات مختلفة على مجمل الاطر المرجعية التي تشكل انماط السلوك الاجتماعي. والتحولات في منظومة الفكر الاجتماعي يقصد فيها عملية التبدل والتغيرات التي طرأت على البنى الذهنية التي تصوغ السلوك الاجتماعي في المجتمع العراقي وتمس القيم والمعايير الاساسية والهوية الجماعية والعلاقة مع السلطة كالحروب المتكررة والاحتلال الامريكي وسيطرة تنظيم داعش وما نجم عن هذه التحولات والمنعطفات من تداعيات مختلفة على مجمل نظم المجتمع ومكوناته.

منظومة الفكر الاجتماعي: هي البنية الذهنية التي تنمط السلوك البشري وتحدده في ضوء الاهداف المشتركة للمجتمع الذي يعيش فيه ،فهي نظام مترابط من المفاهيم والقيم والمعايير التي تنظم عملية تفاعل الفرد مع محيطة الاجتماعي وتشكل انماط علاقاته الاجتماعية .

ISSN. 1815-8854

المبحث الاول

المكونات الاساسية للمجتمع الموصلي

تعد مدينة الموصل مركز محافظة نينوى ثاني اكبر مدينة عراقية من حيث عدد السكان بعد العاصمة بغداد، بتعداد سكان بلغ ٤,٢٦١,٩٨٠ نسمة (mop.gov .iq)وتقع شمال مدينة بغداد بمسافة تقارب ٤٠٠ كم (uomosul.edu .iq)

الموصل مدينة تاريخية عريقة نشأت على ضفاف نهر دجلة، تعود جذورها التاريخية إلى الالف الخامس قبل الميلاد ،وكانت نينوى عاصمة الامبراطورية الآشورية، فيها تنوع ديموغرافي كبير حيث اندمجت فيها الثقافة الارامية والآشورية مع الوافدين من العرب والكرد والتركمان (الحموي، ١٩٧٧ ، ص٢٢٣) مما خلق نسيجاً اجتماعياً فريداً يتميز بالتكاتف والتعايش والانسجام رغم الازمات المتكررة. إذ لم يسجل وعبر التاريخ الطويل اي فتنة عرقية او قومية او دينية او مذهبية (العلاف ،٢٠١٣،ص١١)

ومرت هذه المدينة وعبر تاريخها بأحداث مهمة وتغيرات متنوعة شكلت المدينة على ما هي عليه اليوم.

والمجتمع الموصلي يعد عراقاً مصغرا يحتوي تنوعاً ديموغرافياً واجتماعياً ويتكون من اعراق وقوميات واديان ومذاهب متعددة، وتتوزع المكونات الاجتماعية الاساسية في مدينة الموصل وضواحيها كالتالي:

١. المكونات القومية والعرقية

أ. العرب: ويشكلون الاغلبية السكانية في المدينة وينتشرون في مركزها في جانبيها الايمن والايسر.

ب. الاكراد: يأتون في المرتبة الثانية من حيث العدد ويسكنون في الجانب الايسر من المدينة.

ت. التركمان: يأتون في المرتبة الثالثة من حيث العدد ويتوزعون بين المذهبين السني والشيعي ويتركز ثقلهم في قضاء تلعفر وفي القرى والقصبات المجاورة لمركز المدينة.

ث. الشبك: يأتون في المرتبة الرابعة من حيث العدد وينقسمون مذهبياً بين السنة والشيعة ويتركزون في اطراف مدينة الموصل في قرى وبلدات سهل نينوى.

ISSN. 1815-8854

ج. الآشوريون والسريان: يمثلون المكون المسيحي ويتوزعون في احياء المدينة ويتمركزون في قضاء الحمدانية وفي بلدات سهل نينوى وقراها.

٢. المكونات الدينية:

١. الاسلام: تمثل ديانة الاغلبية في المجتمع الموصلي وتضم المذهبين السني والشيعي.

٢. المسيحية: وهي ديانة عريقة في المدينة لكن اعدادهم بدأت تتناقص بسبب الهجرة وتضم (سريان، كلدان، آشوريين، الارمن).

٣. الايزيدية: يتواجدون في قضائي الشيخان وسنجار ولهم علاقات وارتباطات اجتماعية واقتصادية وثيقة في مدينة الموصل.

ورغم هذا التنوع العرقي والديني والمذهبي تشكل مكونات الموصل الاجتماعية نسيجاً متجانساً عبر تاريخ طويل من العلاقات الاجتماعية المتوائمة. فالتعايش السلمي واحترام خصوصيات الآخرين القومية او الدينية أو المذهبية من ابرز المظاهر التي يتميز بها المجتمع الموصلي.

٣. البنية المجتمعية (المدنية والعشائرية)

بنية المجتمع الموصلي مركبة تجمع بين الطابع الحضري والطابع العشائري ويجمع المجتمع الموصلي طابعاً محافظاً على العادات والتقاليد سواء في الوسط الحضري او الوسط الريفي.

تنقسم الموصل إلى مجتمع مدني داخل المدينة يتميز بطابع حضاري وانتماء قوي للدولة ومؤسساتها، ومجتمع قبلي وعشائري في القصبات والقرى المحيطة بالمدينة . ومن ابرز العشائر العربية في الموصل ومحيطها: شمر، وطي، والجبور، واللهيب والعكيدات والبوحمدان. والعشائر الكردية والشبكية ومنها الدوسكي والبارزانية والباجلان، والرفاعية، والداوودية الشريفية . (احمد وعزيز ،٢٠١٨ ، ص ٤-٥)وعلى الرغم من الحجم السكاني الكبير للعشائر إلا أن البنية المدنية للمدينة كانت دائماً هي الاقوى مما انعكس في التزام ابناء الموصل بالنظام وانتمائهم للدولة ومؤسساتها عبر تاريخهم الحديث.

٤. التحديات المعاصرة للمكونات.

ISSN. 1815-8854

شهدت اللحمة الاجتماعية بين مكونات المجتمع الموصلي هزات عنيفة بعد الاحتلال الامريكي ٢٠٠٣ واضطراب الاوضاع الامنية وعدم الاستقرار فضلاً عن سيطرة تنظيم داعش على المدينة ما بين ٢٠١٤-٢٠١٧، حيث حدثت عمليات هجرة وتهجير قسري طالت بعض المكونات مما ادى إلى تغيير كبير في التركيب الديمغرافية للمدينة.

وهنالك جهود حثيثة تبذل لاستعادة التماسك ورأب الصدع التي احدثته تلك الهزات. ويؤكد تاريخ مدينة الموصل على انها انموذجاً للتعايش السلمي بين مكوناتها المجتمعية، فالتجاور والاختلاط في اغلب احياء مدينة الموصل ولا توجد احياء على اسس دينية او عرقية.

وانما عملية الفرز الطائفي والعرقي جاءت بعد الاحتلال الامريكي وسيطرة تنظيم داعش على المدينة مما خلق توتر بين المكونات تم توظيفه سياسياً في عملية تعزيز الانقسام واضعاف النسيج الاجتماعية.

ISSN. 1815-8854

المبحث الثاني

التحولات التي شهدتها منظومة الفكر الاجتماعي

لكل مجتمع منظومة فكرية توائم بين عملية التحول في البناء الاجتماعي والواقع الاجتماعي المعاش. فهي الوسيط الفاعل الذي يوجه مسار عملية التحول ويضبطها ويمنحها خصوصيتها وفقاً للمرحلة الحضارية التي يعيش فيها المجتمع.

ومن يطلع على تاريخ عملية التحول في المجتمع العراقي وعبر تاريخه الطويل يدرك بما لا يدع مجالاً للشك بأن الدافع الاساسي لأغلب عمليات التحول ليس وعي النخب وارادة الشعب بل كان العامل الخارجي من غزو واحتلال هو من يحدث التحولات الحادة والمنعطفات الحرجة وهو من يخلق شروط مادية وموضوعية تؤدي إلى تحولا لاحقاً في منظومة الفكر وهذا يعد انعكاس فوقي للتحول المادي على ارض الواقع.

فقد تعرض العراق وعبر تاريخه الموغل في القدم لاحتلالات متوالية استمرت لأكثر من ٢٨٢٦ سنة من مجموع تاريخه المدون والبالغ (٣٤٥٨ سنة (سوسه ، ١٩٨٣ ،ص ١٧ –٣٤) اي بنسبة ٨١,٧٢% من تاريخه مما اثر بشكل فاعل على البنى الاجتماعية وتنوعها ومنظومة الفكر المهيمنة على مناشط الحياة اليومية، مما اورثته عناصر ضعف مزمنة يترد صداها اثناء كل عملية تحول.

ويعد هذا التاريخ الطويل من الاحتلالات الاجنبية مختبراً حقيقياً لعملية التفاعل بين ثقافات وحضارات مختلفة لتشكل منظومات فكر متوائمة واحياناً متقاطعة مع هذه الاحداث توسمها بسماتها وخصائصها. فالاستجابات الفكرية لهذه المنعطفات التاريخية متعددة ومتناقضة احياناً تتنافس فيما بينها ويكون حظ البقاء والفرصة الاوفر للاستجابة الاقدر على الموائمة والتكيف مع المعطيات الجديدة.

وغالبا ما تسبب المنعطفات التاريخية الحادة صدمة لمنظومة الفكر التي كانت سائدة، وحسب قوة هذا المنعطف، حيث تدفع منظومة الفكر إلى المواجهة او التقوقع والانسحاب، مما يخلق فراغاً فكرياً تتبلور فيه قيم ومعايير بديلة يتم استنباتها ودعمها لغرض الثبات والتجذر في الواقع الاجتماعي المستحدث، لكسب الشرعية والنمو والانتشار. لخلق اطر مرجعية تساهم في

ISSN. 1815-8854

توطيد وترسيخ عرى هذه التحولات المستحدثة وإعادة تشكيل البنى الاجتماعية في تركيبة جديدة قائمة على استدماج القيم والمعايير المستحدثة في البنى المشكلة.

وتتحرك منظومة الفكر اثناء المنعطفات التاريخية الحادة وفقاً لثلاث مسارات وهي:

١. استلهام الموروث العقائدي والفكري والثقافي الذي يمثل رصيداً مخزوناً في العقل الجمعي لتثبيت السلوك الاجتماعي المقاوم لعملية الضغط المستحدثة التي تفرضها عملية التحول.
٢. ملامح السلوك الاجتماعي المستحدث وفي ابعاده المختلفة ترسمه افاق ومثابات متعددة وفقاً لقوة عملية الضغط التي تشكلها عملية التحول في منظومة الفكر، وتكون في البدأ عملية تمثل جزئي ومن ثم يتجول مع الوقت إلى عملية تمثل بصورة كاملة للمعايير والقيم المستحدثة.
٣. نفاذ المنتج الفكري الوافد من خلال عملية التفاعل مع محركات الضغط والفواعل على الساحة الاجتماعية، ودفع الفعل الاجتماعي الفردي للاستجابة من خلال تغذية واشباع الحاجات الاساسية ومنح المكافئات وفقاً لعملية الاستجابة مما يؤدي إلى ترسيخ التحول القيمي والمعياري في اعماق اللاوعي البشري لينتج افقاً لاستدماج النسق الفكري المستحدثة في اطار السلوك الاجتماعي الشائع.

ومما نلخص إليه مما سبق ان عملية التحول الفكري لا تكون خطية ولا انعطافه فجائية، وانما التحول الفكري يبدأ بالحدوث كاستجابة تكيفية عندما تبدأ الاتجاهات السائدة بالضعف ويتسلل محلها الاتجاه المستحدث نتيجة التغيير في علاقة القوة الضاغطة. فعندما تتغير موازين القوة يبدأ التحول في المنظومة الفكرية لإضفاء الشرعية على الوضع المستحدث وعبر مخاظات متباينة بين الاقدام والاحجام وبين المعارضة والتأييد. وتنتج هذه الاستجابة التكيفية للحفاظ على النسق الاجتماعي العام والحفاظ على التوازن النفسي الاجتماعي لأفراد المجتمع. ويمثل ذلك انتصار لإرادة الحياة في مضمار المنافسة المفتوحة بين ما هو تقليدي وما هو مستحدث.

ISSN. 1815-8854

المبحث الثالث

طبيعة العلاقة بين منظومة الفكر والبنية الاجتماعية في المجتمع الموصلي

شكل الاحتلال الامريكي عام ٢٠٠٣ وما سبقه من حروب متكررة وازمات متلاحقة آليات متداخلة افرزت تحولات جذرية في منظومة الفكر والبنى المجتمعية للمجتمع العراقي بصورة عامة والمجتمع الموصلي بصورة خاصة. وفي البدأ اود ان اعرج إلى وصف بعض ملامح المجتمع الموصلي الذي يتميز بروح مدنية وحضرية واضحة انعكست في التزام بالنظام والانتماء للدولة عبر تاريخها الحديث. فالعمق التاريخي للمجتمع الموصلي وتعاقب حضارات وانماط حكم متعددة تركت بصمتها على شخصية الفرد الموصلي. فهو محافظ ومتحفظ متأن منضبط مثابر صبور غير محب للمغامرة، يقدس الامن والاستقرار يحترم التراتبية الاجتماعية والمهنية، قراراته تخضع للتمحيص قبل تبنيها، لديه القدرة على التخطيط طويل الامد (وخاصة في الادخار والزواج والتعليم) يفضل الزواج ضمن الإطار عائلي المعروف ولديه ترابط عائلي قوي لكنه على مستوى دائرة قرابيه ضيقة إلى حد ما. متشبث بالمهن التقليدية ويفضل البنية الهرمية الصارمة في المؤسسات يتبنى تفسيرات دينية محافظة وتقليدية.

وهذه السمات والخصائص صنعت هوية متميزة تبلورت نتيجة ظروف وتحديات تاريخية التي واجهها المجتمع الموصلي جعلت التحفظ والحذر والبحث عن الاستقرار تتربع على قمة الهرم القيمي لديه، فضلاً عن تشكيل منظومة فكرية وعقائدية وثقافية لتصون هذه المبادئ.

وبعد ان اسقط الاحتلال الامريكي النظام السياسي وفكك الدولة وحل مؤسساتها، خلق شروطاً مادية جديدة لعملية التحول فالأزمات الاقتصادية وتغيير النظام السياسي والاضطراب الامني والذي استمر لفترات ليست وجيزة ساهم في استنبات قسري لبعض عمليات التحول، وساهمت وبدرجات متفاوتة في تحفيز العوامل الكامنة في بنية المجتمع ولحساب الهويات الفرعية، حيث افرزت انماط وعي متباينة ظهرت بصورة جلية من خلال اذكاء عناصر الفرقة على حساب الهوية الوطنية الجامعة.

وهنا يلعب العامل الخارجي (الغزو والاحتلال) الدور الفاعل في خلق الشروط المادية لفرض عملية تحول لاحق على منظومة الفكر ويعد ذلك انعكاس فوقياً للتحول المادي في ارض

ISSN. 1815-8854

الواقع. مما خلق استجابات فكرية متعددة ومتناقضة تتنافس فيما بينها مما خلق اضطرابا وتوتراً في عملية تحول البنى المجتمعية، والحقيقة التي يتبنى ان تعطى الاولوية لمنظومة الفكر.

وينبغي ان يكون التحول داخلياً يقوده وعي النخب وارادة الشعوب لإنجاز عملية تحول وانتقال تدريجي متوازن يكون اكثر انسيابية في عملية انضاج ظروف موضوعية لأحداث تحول تاريخي وارتقاء حضاري بعيداً عن الهزات الارتدادية.

وعندما فقدت منظومة الفكر ريادتها في الحالة العراقية – باعتبارها الوسيط الضروري الفاعل الذي يعطي عملية التحول ديناميتها ويوجه مسارها ويضبطها – خلق فراغاً فكرياً تبلورت فيه افكار بديلة ، واستنبات افكار اخرى مستقدمه من اعماق التاريخ ، وطبقاً لمقتضيات الواقع الاجتماعي من خلال تفكيك البنى التي كانت قائمة وإعادة تشكيلها وفق اطر مرجعية تساهم في استدماج القيم والمعايير المستحدثة في البنى المشكلة لكسب الشرعية والنمو والانتشار. لكن الامر لم يسر على ما يرام، بل كانت الاستجابات متعددة متناقضة تنافست فيما بينها ، ومن المرجح ان يكون البقاء للاستجابة الاقدر على التكيف مع المعطيات الجديدة.

عندما تتغير العناصر الضاغطة بشكل فاعل – التي كانت تساهم بتشكيل الحركة الاجتماعية واضفاء المعنى عليها– بصورة متكررة وبشكل دوري فأن ذلك يحدث تحول في الظروف الموضوعية بما يتناسب مع الفواعل وشدتها وعمقها ورسوخ في الذاكرة الجماعية والمعنى المستحدث لدى الجماعة وصولاً إلى مرحلة إعادة التكيف والتوافق مع تبدل الضواغط وإعادة تشكيل المعنى مع ما يتوقعه اغلب افراد الجماعة في المجتمع.

ومن ابرز انعكاسات التحول على البنية المجتمعية للمجتمع الموصلي كما يلي:

١. صعود غير مسبوق لخطاب العنف والتطرف عرقياً دينياً ومذهبياً بين مكونات المجتمع الموصلي.
٢. تغيير ديموغرافي نتيجة هجرة واسعة للعقول والنخب من المدينة (اطباء، مهندسين، اكاديميين ومثقفين وخبرات ادارية) بسبب الاضطراب الوضع الامني.
٣. الفرز العرقي والديني والطائفي ولاسيما بعد احداث تنظيم داعش ٢٠١٤، مما احدث خللا في النسيج الاجتماعي للمدينة، فحل الشك والريبة محل التفاعل كأساس لعملية التفاعل الاجتماعي بين المكونات.

ISSN. 1815-8854

٤. تشظي الوعي الجمعي لدى مكونات المجتمع نتيجة الصدمات المتكررة (حروب متوالية ،وحصار وغزو واحتلال ، فضلاً عن الاضطرابات الامنية والتفجيرات الدموية) كاليه دفاع عن النفس .

٥. ازدحام الذاكرة الاجتماعيةً بالخبرات المؤلمة والتي بدورها بدرت بدور الشك والريبة بالآخر وفقدان الثقة في مؤسسات الدولة. فتراجعت قيم التضامن التماسك بين مكونات المجتمع لحساب الهويات الفرعية.

٦. تحول انماط العلاقات التي كانت تربط الاسرية بمحيطها وجذورها الاجتماعية – من علاقات اولية الى علاقات ثانوية –بسبب الضغوطات المختلفة الناجم عن عملية التحول في منظومة الفكر ، وزادت العنوسة وتأخر سن الزواج وتنامت نسب الطلاق وتراجعت السلطة التقليدية للأب.

٧. تراجع قيم المثابرة والاجتهاد وقيم العمل المنتج وبروز قيم الكسب السريع (عن طريق الغش التجاري، والرشوة ، والاختلاس ،والاحتكار)وتنامي الفساد الاداري والمالي بشكل غير مسبوق ، والسعي للبحث عن الامان الفوري من خلال الاكتناز وجمع الاموال بطرق شرعية وغير شرعية.

٨. ضعف اداء مؤسسات الدولة، فالمحاصصة في ادارة المؤسسات خلفت شعوراً بتدني مستوى الرضا الوظيفي، فعندما توزع المناصب الادارية ليس على اساس الخبرة والكفاءة ومستوى الاداء المهني وانما حسب الولاء والانتماء، فذلك يشعر الموظف الجاد والمثابر وصاحب الخبرة بالمرارة مما يثبط الهمم ويؤدي إلى انطفاء جذوة الحماس ويبدأ الاستسلام للنكوص وتدني الكفاءة وانخفاض مستوى الانجاز وخاصة لدى الموصلي لأن المهنة والوظيفة تأخذ مرتبة متقدم في سلم اولوياته الحياتية.

٩. التحول في انماط التفكير التقليدي لدى الشباب نحو التفكير النقدي المشوش ،فظهرت حركات وتيارات تنتقد كل شيء وتشك في كل ما هو موجود من ثوابت في الحياة الاجتماعية. مما ادى لظهور حالة من التشتت والضياع واللايقين ونمت بوادر التطرف في الاتجاهات متعددة .

ISSN. 1815-8854

١٠.تراجع دور الطبقة الوسطى وبروز طبقة نفعية انتهازية مستثمرة الفراغ الناجم عن عملية الازاحة والتهجير لكفاءات والخبرات الادارية والمهنية التي كانت تتميز بها مدينة الموصل.

١١.انكفاء رموز المدينة والفاعلين في الحياة الاجتماعية على انفسهم نتيجة صدمة الاحتلال ، مما اضعف نفوذهم امام المنافسين فساهم ذلك في إعادة تشكيل التركيبة الاجتماعية وفقا لتلك لمعطيات. لكن عدم الاستقرار في الظروف والاوضاع الاجتماعية والسياسية والامنية حال دون تجذرها في الواقع الاجتماعي للمجتمع الموصلي.

١٢.تفاقم الاستقطاب العرقي والديني والطائفي والمناطقي في البيئة السياسية ، بعد ان اسقط الاحتلال النظام السياسي وتحول من نظام مركزي شمولي إلى نظام اللامركزي ، فازداد التنافس على المناصب الحكومية للوصول إلى الموارد ومراكز السلطة والنفوذ، مما ادى إلى تأجيج الصراع بين المكونات واضعف الهوية الوطنية الجامعة لصالح الهويات الفرعية فأفقد النسيج الاجتماعي صلابته وتماسكه.

١٣.اعادة النظر في اشكالية التعددية ،وعملية التحول اظهرت ان المشكلة العرقية والدينية والطائفية ليست وليدة التعددية، فالتعددية والتنوع ثابت في الوجود سنة من سنن الله في خلقه وهو موجود في اغلب مجتمعات الارض.

انما المشكلة تظهر عندما تبدأ عملية الفرز على اسس عرقية ودينية وطائفية ويعمد إلى ماسسته ذلك من خلال العمل السياسي وادارة مؤسسات الدولة، فيؤدي ذلك التموضع في البناء المؤسسي، فتسعى الفئات والطوائف وعلى مختلف اتجاهاتها في الدفاع عن كينونتها لتظهر وتتبلور بؤر التوتر بين المكونات ويقلل من فرص التعايش السلمي المشترك (عبدالجبار ،٢٠٠٦،ص٢٣) وهذا ما بدى واضحاً في طبيعة العلاقة بين مكونات المجتمع الموصلي.

١٤.تراجع النموذج المدني للموصل والذي كان يمثل عبر تاريخه نموذجا للتعايش سليمي والتعاون والتفاعل اجتماعي الايجابيً ، من خلال عملية التجاوز السكني بين مختلف الفئات فضلاً عن عملية التصاهر بين المكونات، والالقاب المهنية هي السائدة في كنى الافراد.

ISSN. 1815-8854

. لكن الظروف والاوضاع الاجتماعية والسياسية غير المستقرة دفعت باتجاه تراجع ذلك النموذج واللجوء إلى التكتلات الفرعية العريقة والدينية والمذهبية باعتبارها خياراً لحماية الافراد وتخفيف المخاطر وتحقيق جزء من مصالحهم.

ISSN. 1815-8854

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث الذي تناول التحولات في منظومة الفكر الاجتماعي وانعكاساته على البنية المجتمع الموصلي ، يخلص الباحث بأن هناك علاقة ارتباطية بين التحولات في منظومة الفكر والبنى المجتمعية، وهذه العلاقة ليست خطية بل هي علاقة وظيفية تفاعلية متداخلة بشكل معقد والتي تتأثر بالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يمر بها المجتمع .

فالتحولات الفكرية الحادة الناجمة عن الاحتلال الامريكي للبلد وتغيير النظام السياسي وحل مؤسسات الدولة وما نشئه عنه من تدهور امني وتدني المستوى المعيشي ادى إلى اضطراب التوازن النفسي والاجتماعي للفرد وازدحمت الذاكرة الاجتماعية والوعي الجمعي بالخبرات المؤلمة فتراجعت قيم التضامن التماسك بين المكونات ولصالح الهويات الفرعية على حساب الهوية الوطنية كآلية دفاع عن النفس. وظهر نمط التفكير النقدي المشوش بين الشباب وتمت بوادر التطرف في اتجاهات شتى.

فضلاً عن تراجع دور الطبقي الوسطى في المجتمع الموصلي وضعف الاداء المؤسسي تنامي عدم الرضا الوظيفي وبرزت طبقة نفعية مستمرة هذا الفراغ الناجم عن عملية الازاحة والتهجير للكفاءات والخبرات الادارية المهنية التي كانت تتميز بها المدينة. فزاد التنافس على مراكز السلطة والنفوذ للوصول إلى الموارد من خلال المحاصصة مما خلق نوع من الاستقطاع العرفي والديني والطائفي والمناطقي فأضعف الهوية الوطنية وافقد النسيج الاجتماعي صلابته وتماسكه.

يقترح الباحث اجراء دراسات ميدانية لقياس مستوى التماسك الاجتماعي بين مكونات المجتمع الموصلي في ظل عملية التحول في منظومة الفكر، وكذلك اجراء دراسات ميدانية تتعلق بانعكاس التحولات في منظومة الفكر على بعض المشكلات الاجتماعية، كالعنف والتطرف والادمان والاطلاق والانتحار.

ISSN. 1815-8854

قائمة المصادر:

١. أحمد، هند عبدالله و عزيز ،إيناس محمد ، ٢٠١٨، الطوائف الدينية بين التعايش والتهجير – دراسة وصفية تحليلية في مدينة الموصل، مجلة التدوين، عدد ١١.
٢. الحموي ، ياقوت ،معجم البلدان ،١٩٧٧ ،ط ١،دار صادر ،ج ٥،
٣. العلاف، إبراهيم خليل، ٢٠١٣، مباحث في تاريخ الموصل، دار ضفاف، الإمارات العربية المتحدة، الشارقة، الطبعة الأولى.
٤. العلايلي، عبد الله، وآخرون، ١٩٩١، المنجد في اللغة، دار الشروق، بيروت، ط ٣٤.
٥. سوسة، أحمد، ١٩٨٣، تاريخ حضارة وادي الرافدين – وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الأثرية، ج ١، بغداد، دار الحرية للطباعة،
٦. عبد الجبار، فالح، ٢٠٠٦، المجتمع المدني في العراق ما بعد الحرب، معهد الدراسات الاستراتيجية، ط ١، بغداد – بيروت.
٧. وزارة التخطيط،https://mop.gov.iq تاريخ الزيارة ٢٢ / ١٢ / ٢٠٢٥.
٨. وهبه، مراد، ٢٠٠٧، معجم المصطلحات الفلسفية، دار قباء الحديثة، القاهرة،
٩. http://Library.mans.edu. تاريخ الزيارة ٢٠٢٥/١٢/٢٠
١٠. https://uomosul.edu.iq ، تاريخ الزيارة ٢٢ / ١٢ / ٢٠٢٥.
١١. Robert Cox, 1990, Global changes and theoretical challenges: Approach to world politics, Lexington Book,

ISSN. 1815-8854

List of sources and references in Arabic

1. Access date: 20/12/2025 http://Library.mans.edu[.]
2. Abdullah Al-Alayli et al., Al-Munjid fi Al-Lughah (Beirut: Dar Al-Shorouk, 34th ed., 1991), p. 162.
3. Murad Wahbah, Dictionary of Philosophical Terms (Cairo: Dar Qiba' for Modern Publishing, 2007), p. 151.
4. Robert Cox, Global Changes and Theoretical Challenges: Approach to World Politics (Lexington Books) [sic for incomplete citation].
5. Ministry of Planning – https://mop.gov.iq[.]
6. https://uomosul.edu.iq
7. Yaqut al-Hamawi, Dictionary of Countries (Beirut: Dar Sadir, 1977), vol. 5, p. 223.
8. Ibrahim Khalil al-Allaf, Studies in the History of Mosul (Sharjah, UAE: Dar Dafaf, 1st ed., 2013), p. 11.
9. Ahmed Sousa, History of the Civilization of Mesopotamia – Mesopotamia in Light of Agricultural Irrigation Projects and Archaeological Discoveries (Baghdad: Dar al-Hurriya for Printing, 1983), vol. 1, pp. 17, 34.
10. Dr. Hind Abdullah Ahmed & Dr. Inas Mohammed Aziz, "Religious Communities between Coexistence and Displacement – A Descriptive and Analytical Study of the City of Mosul," Journal of Al-Tadween, no. 11 (2018), pp. 4–5.
11. Falih Abdul Jabbar, Civil Society in Post-War Iraq (translated by the Institute for Strategic Studies; Baghdad–Beirut: Dar al-Furat for Publishing and Distribution, 1st ed., 2006), p. 23.